الجسد

الجسد يحمل بهاء مخلوقيّته. كل الخلائق جميلة ويكشف في تكونها يد الله. غير ان الطابع العضوي لما في الجسم البشري يوضح لك عقل الله. منذ بضع من سنوات لفتني ما كنت دارسه ولم يحركني في شبابي. انا الآن دهشة أمام الترابط المذهل بين أعضائنا. كيف يصبح طعامك بعد الهضم جزءًا من شعرك، من عينيك، من صدرك. كيف تأتي من أب عادي وأم عادية لتصبح أفلاطون او اينشتاين. هذا اللحم البادي منا وبه نتواصل لم يكن ليكون كامل المعقولية لو لم يعقله احد. هو اذًا موضع رؤية لهذا الذي عقله. عن المخلوقات في سفر التكوين "ورأى الله انه حسن". اما عن الإنسان فيقول: "فخلق الله الإنسان على صورته". ان نظر الله الى الانسان يقول الله: "ونظر الله الى كل ما صنعه، فرأى انه حسن جدا". لماذا لم ينبهر الله الا بالانسان كأنه دون كل الخليقة محاوره؟

هذا الجسد على سحره تراب، والترابية تضغط على كل ما فيه حتى تمنع النور عنه والنور كان في البدء ونحن اليه مثلما نحن على التراب ويتلاعبان حينا ويتناقضان أحياناً ما دام الإنسان. على ركيزة جسده يبصر الانسان قوة الله وجلاله وحنانه وتنكشف أسرار الله لنا اذا كنا اليها بكل ما فينا من قوى ونتواصل والآخرين بكل ما فينا من قوى أيضاً اذا لا ترى ربك ما لم ترَ عباده الطيبين. هذا لا يجري فقط بالفكر فالعين تفرح واليد تصافح اي تصير عضوًا واحدًا مع يد الآخر لأننا موصولون بخيوط من ذهب مخفية الى ان تتجلى وحدة البشر عند هبوط ملكوت السموات علينا.

الجمال وما يبدو لنا قبيحاً كلاهما من الله وكلاهما لغة، والقبيح لا ينفر اذا أجدت لغته أي اذا تجاوزته الى الكلمة التي تتضمنها تعابيره ومخاطبته الله. فليس الإنسان في سحر وجهه ولكن في سحر وحدته مع الآخرين وفي حريته على صورة الله. وما هو أسمى من ذلك الانسان المحب البشر اي في وحدته مع الآخرين وفي حريته على صورة الله. انه لسرّ عظيم الا تكون انت اياك في ذاتيتك ومسؤوليتك وانت تحيا في إناسة الآخرين معا. ان نكون واحداً ومتمايزين معا هذا وحده يلغي العبودية القائمة إما على الانغلاق وإما على الانصهار الكامل. انسان واحد في ذاته وموحد بالجماعة في آن واحد . حتى في الملكوت يبقى الانسان ذاته لكنه متحد لتظهر محبة الله.

❦❦❦

بين يدي الله مفاتيح الحياة والموت. "كل نفس ذائقة الموت" (عمران، 185 وغيرها من السور). الجسد مهيأ للموت في تركيبته. الخلايا لا تعيش الى الأبد. وعندنا نحن ان "الذي مات قد تبرأ من الخطيئة" (رومية 7:6). بهذا المعنى الموت رحمة، وفي الايمان المسيحي انه لقاء مع الرب. والنفوس في قبضة الله وهي ترجو القيامة. والموت اول مواجهة مع الله في ما نسمّيه الفردوس او الملكوت على رجاء رؤية النور الإلهي في السماء عند انتهاء الزمن.

في الزمان الأخير تستدعى الأجساد الى القيامة ومنذ موت صاحبها يحنو عليها الروح القدس بنعمته بحيث ان الروح الالهي يرعى النفوس والأجساد معاً حتى يجمعها في اليوم الأخير. اذ ذاك أمكن القول ان الجسد بعد الموت قائم ولو ذهبت عنه الحركة التي كانت في كيانه.

قدسيّة الأجساد تمنع عندنا إحراقها. نريد استمرار جسد ما لكيانية ما ولو بدت مفكوكة. الجسد ممسوح بالميرون بعد المعمودية. لذلك كان للكنيسة مدافن كانت تبنى الى زمن قريب حول الكنيسة بحيث يشعر المؤمنون الأحياء انهم واحد مع الراقدين على رجاء القيامة.

من هذه الزاوية ليست الكنيسة مشدودة الى انفصال النفس والجسد، لكنها تشدها جميعاً الى رحمة الله. الانحلال الذي يصيب الجسد فرصة لقائه مع الرب أي انعطاف الرب عليه. هناك من يخشى الموت، وهناك من لا يخشى. المهم ان يتهيأ كل منا لفراق هذا الوجود وارتقاء الى وجود السلام. نحن نعد من يرحل عنا بالصلاة وتعزية الكتب كما يقول الرسول. وانشئت حديثاً في أوروبا مؤسسات تُعنى بإعداد المرضى في مراحلهم الأخيرة للموت وهي مختلفة عن المستشفيات. حبذا لو كان في كل عائلة مؤمنة من كان أقرب الى العناية بالمريض في أيامه بالكلام الطيب. أجل ممكن للكاهن القيام بهذا الواجب اذا درس ما يجب ان يقوله ويعمله بما يتجاوز مجرد الصلاة.

هذه الرعاية تفترض ضمناً اننا في الموت نصير الى المرحلة الأخيرة من الحياة الدنيا، وان هذا الجسد كريم وانه في حال الوعي يتناول بالزيت ما نسميه سر المسحة الذي يفترض ان الإنسان كيان واحد قبل الموت وبعده ما يحول دون التأكيد اننا مؤلفون من مادة تزول ونفس لا تزول. الجسد عندنا شيء من الكيان البشري ليس أدنى من الروح في حقيقة الوجود وحقيقة المصير.

❦❦❦

فيما أتأمل في هذه الرؤية اللاهوتية أحمل غزة في ضلوعي. كل من سقط فيها هو عند الله وفي تاريخ القداسة. لماذا يقطفون الأطفال- الزهور؟ ان يموت المحاربون أمر طبيعي. ولكن كيف يحتمل شعب له أنبياء دعوا الى العدل موت النساء والشيوخ وليس فيهم مسلح؟ لماذا هذا الدمار الذي يشبه آخرة العالم؟ ما الفائدة من إبادة مئات من اهل غزة؟ هؤلاء كلّهم أجساد مقدسة جعلها الظلم قرابين لله.

ليس الوقت الآن للصلح. المبتغى ان تتوقف إماتة ناس عزّل. واذا جاءت التهدئة يبدأ منطق السلم. المهم ان تبقى هذه الأرض فلسطينيّة ولا توزّع بين العرب. لقد أثبت التاريخ منذ ستين سنة ان الفلسطينيين متمسّكون بحريّتهم على أرض لهم. كيف تكون حال الشرق الأدنى في المستقبل القريب؟ هذا موضوع بحث أساسه ان يتجمع أهل فلسطين على أرض يحبونها حول الزيتون والبرتقال ومياههم، وان ينصرفوا الى بنيان مجتمعهم كما يشاؤون مشاركة منهم في الحضارة.

أوقفوا حمام الدم وهو زكيّ. هم لم يكونوا من الأمة الألمانية لما أحرق قائدها اليهود بشكل وحشي. لماذا الذي كان أبوه ضحيّة النازي في اوشفيتس ينبغي ان يحوّل كل مدينة في قطاع غزّة الى أوشفيتس أخرى؟

سلام على أجساد أحبائنا المطهّرة في فلسطين كلها. إخواننا هناك مدعوّون الى المجد. وسنناضل مما أوتينا من وسائل لتحقيق هذا المجد.

المطران جورج خضر